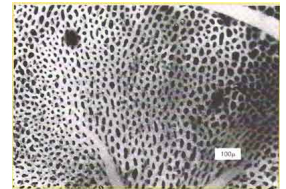


من الأسرار العلمية للتعالم النبوية

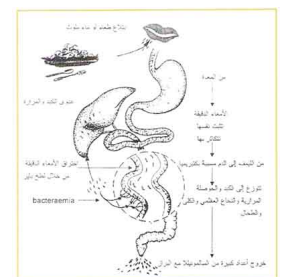
د. رجاء محمود ملياني

قال الحبيب المصطفى (عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم) : "اتقوا الملاعنين" قالوا : "وما الملاعنان يا رسول الله؟" قال : "الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم وقال (عليه الصلاة والسلام) : " لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه " (صحيح البخاري). وعن جابر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يبال في الماء الراكد (صحيح البخاري)، كما قال (عليه الصلاة والسلام) : "إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده حتى يغسلها ثلاثاً؛ فإنه لا يدري أين باتت يده (صحيح البخاري). ثم قوله (عليه الصلاة والسلام) : "إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، وإذا أتى الخلاء فلا يمس ذكره بيمينه، ولا يتمسح بيمينه (متفق عليه). وعن أبي الغادية الميمامي قال : "أتيت المدينة فجاء رسول الله كثير من الصلّة؛ فدعاهم؛ فما قام إلّا أبو هريرة وخمسة منهم أنا أحدهم فذهبوا فأكلوا، ثم جاء أبو هريرة فغسل يده، ثم قال : "والله -يا أهل المسجد- إنكم لعصاة لأبي المقاسم (صلى الله عليه وسلم)" (مسند أحمد).



(شكل 1) قطاع طولي في شبكة الشعيرات الدموية الرئوية ويلاحظ عدداً هائلاً من خلايا هذه الشعيرات ارتفع الضغط في الأوردة الدموية الكبيرة

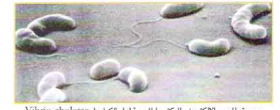
وإذا نظرنا بعين مجهرية أو بعين ميكروبيولوجية إلى الفوائد الحجة التي نجنبها؛ وتعود علينا باتباعنا التعالم السابقة فإننا نجد الحكمة من وراء هذه الأحاديث؛ فقد أثبت العلم أسرار هذه التعالم النبوية من خلال الاكتشافات العلمية التي أثبتت العلاقة بين الأحاديث الشريفة المذكورة وبين العديد من الميكروبات الممرضة؛ فنحن نعلم الآن أن الكتلة البرازية للإنسان المسلم والمريض تحتوي على العديد من الميكروبات المختلفة، وبأعداد هائلة قد يؤدي بعضها إلى أمراض متعددة عند مخالطة تعالم نبينا (عليه أفضل الصلاة والسلام). ومن ضمن هذه الميكروبات ملايين من البكتيريا المختلفة والفيروسات والطفيليات الأولية والفطريات، منها الممرض ومنها ما يسبب المرض تحت ظروف معينة.



(شكل 2) آلية العدوى بكتيرية

بكتيريا الإشريكية القولونية الموجودة في الأمعاء والبراز ولا تقتصر على ما سبق، بل قد تحتوي أيضاً على المديدان الممرضة والماطوار المختلفة لها. ومن البديهي أن العديد من الميكروبات الممرضة وغير الممرضة تخرج مع البراز الذي قد يؤدي إلى تلوث البيئة المحيطة والغذاء والماء، خاصة أن من الكتلة البرازية يتكون من الميكروبات. كما أن تلوث الأيدي ببعض من هذا البراز المحمل بالميكروبات الممرضة التي لا ترى بالعين المجردة قد ينقل العدوى من شخص لآخر؛ ويتفشى المرض من خلال ذلك. ويكفي أن نشير هنا إلى بعض الأمراض الخطيرة التي تنتقل عن طريق ابتلاع طعام أو ماء ملوث بالبراز (rout oral faecal)، فعلى

سبيل المثال لنا الحصر "حمى التيفود" و"داء الكوليرا" و "الديزنتاريا"، و "التهاب الكبد الوبائي" (A)، و "شلل الأطفال"، وما يعرف بالمنزلات المعوية التي تظهر على هيئة إسهال حاد وقيء.



صورة بالمجهر الإلكتروني للتهاب الكبد الوبائي (A)

وإذا تحدثنا عن ميكروب واحد من الميكروبات المسببة لمرض "سالمونيلا التيفود" شكل رقم 1 *typhi Salmonella* التي تسبب "حمى التيفود" *typhoid fever* أو ما يعرف بـ "الحمى المعوية" *Enteric fever*؛ حيث تتم العدوى عند ابتلاع طعام أو شراب ملوث بالبكتيريا، وعادة ما تكون الجرعة المعدية *dose infectious* عدد من البكتيريا الذي يسبب أو يحدث المرض كبيرة نظراً لحساسية "سالمونيلا التيفود" يحدث المرض بعد (9) أيام؛ أي إن فترة الحضانة تطول أو تقصر حسب عدد البكتيريا المبتلعة، إضافة إلى عوامل أخرى، مثل: سلامة المـ "سالمونيلا" المعدية ومزاجية الإنسان المصاب وحالته الصحية العامة. وعموماً فإن فترة الحضانة تتراوح ما بين (5) أيام - (0) يوماً قد تطول إلى (21) يوماً؛ وبعد ابتلاع هذا العدد من هذه البكتيريا مع الطعام الملوث بها فإنها تمر على المعدة حتى تصل إلى الأمعاء الدقيقة حيث تلتصق بخلايا الأمعاء الطلائية، ثم تخترق الغشاء المبطن للأمعاء حيث تبتلع بواسطة الخلايا البالعة التي لا تتمكن عادة من قتل البكتيريا بل تتمكن هذه البكتيريا من التكاثر بداخلها، وتعتبر هذه الخاصية من أهم العوامل المرضية لـ "سالمونيلا التيفود"، وبعد تمكّن البكتيريا من الخلايا البالعة فإنها تصل من خلال الغدد الليمفاوية إلى مجرى الدم مسببة "بكتيريميا" (سيران البكتيريا في الدم)، ومن ثم تنتشر إلى الكبد والحوصلة المرارية والطحال، والكلى والنخاع العظمي، وخلال هذه المرحلة يحدث ارتفاع في درجة الحرارة، وتظهر أعراض حمى التيفود، مثل: الصداع والمشعور بالخمول، وكحة خفيفة بعض الأحيان، وأرق وألم في البطن وإسهال، وأحياناً إمساك وغالباً ما يظهر طفح جلدي على شكل بقع صغيرة وردية اللون *spot rose* على البطن.



البكتيريا المسببة لمرض البكتيريا الشبيهة: Shigella dysenteriae

وما يهمنا معرفته خلال هذه المراحل أن بكتيريا "سالمونيلا التيفود" تخرج مع البراز بعدد كبير جداً، كما تخرج أيضاً مع البول. ومن المعروف أن هناك نسبة من المرضى يظلون يحملون هذه البكتيريا بعد الشفاء لسنوات طوال *chronic carriers*؛ حيث تظل موجودة في موضعين: الأول في الحوصلة المرارية وهو الغالب؛ وبهذا تسري البكتيريا من الحوصلة المرارية إلى الأمعاء ومن ثم تخرج مع البراز، والموضع الثاني في بؤرة في الكلى تخرج منها مع البول؛ ومن هنا جاءت أحاديث النبي المصطفى (صلى الله عليه وسلم) قمة في العلم والمعرفة: فهو الذي نهانا عن المتخلى (التبرز) في الطريق، ونهانا عن التبول في الماء الراكد؛ حيث إن براز المريض وحامل الميكروب يلوث التربة بـ "سالمونيلا التيفود"، كما أن البول المحمل بها يلوث الماء والتربة خاصة أن "سالمونيلا التيفود" تستطيع البقاء حية في التربة مع البراز لمدة (6) أسابيع وفي الماء لأربعة أسابيع على الأقل.



صورة بالمجهر الإلكتروني لفيروس روتا Rotavirus السبب لإسهال حاد لدى الأطفال

كما أمرنا (عليه الصلاة والسلام) بغسل الأيدي وعدم التمسح باليمين؛ ومن المثبت علمياً الآن أن معظم حالات التسمم الغذائي وحالات "التييفود" و "الديزنتاريا" يكون سببها متداولي الأطعمة الحاملين للميكروبات الممرضة والذين لا يتوخون النظافة وإتباع السنة. ولعل أشهر حاملة ميكروب هي الطاهية "ميري" *Miary* في الولايات المتحدة التي اكتشفت أنها تحمل بكتيريا "سالمونيلا التيفود"، وتخرجها مع البراز؛ وقد تسببت في تفشي العدوى بـ "حمى التيفود" لأفراد المنازل التي عملت بها.

بل وفي المستشفيات أيضاً، وقد كان يتبعها آنذاك ضابط صحة عامة قد لاحظ ارتباط وجودها طاهية في أماكن تفشي حالات "حمى التيفود"؛ فطلب منها إجراء الفحوصات والتحليل الطبية اللازمة لما أنها رفضت وهربت من المنطقة؛ وظهرت بعد ذلك حالات أخرى من "حمى التيفود" في مستشفى عام فذهب ضابط الصحة نفسه لتلك المستشفى لدراسة مصدر العدوى. وفوجيء برؤية الطاهية "ميري" في مطبخ المستشفى والتي اتضح أنها تعمل هناك باسم مختلف عن اسمها (اتخذت اسماً معارفاً). وانتهت القصة برفع قضية إلى المحكمة التي حكمت على الطاهية "ميري" بالتوقف عن العمل طاهية. وإجراء الفحوصات اللازمة؛ ومنذ ذلك الحين سميت هذه الطاهية بـ "ميري التيفود" Miary Typhoid



طفل يعاني من حمى تيفود تشبه تشاغل طاهي من حمى التيفود، مصدر: الأسماء

أما وباء "حمى التيفود" الذي حدث في مدينة "أبرين" في عام 1964 (Aberdeen) في بريطانيا وكان مثاراً للدهشة والعجب لأنه كان نتيجة لاستهلاك معلبات غذائية مستوردة وملوثة أصلاً من مصدر استيرادها؛ حيث وجد أن هذه المعلبات وضعت بعد تعقيمها في نهر قريب من المصنع بغرض تبريدها. وعللت التقارير آنذاك أن النهر كان ملوثاً بمياه المجاري، وأن بكتيريا "سالمونيلا التيفود" دخلت في المعلبات من خلال مفاصل في المعلبة لم يتم لحاملها جيداً؛ (سبحان الله)!!! نهر جارٍ لوث معلبات وضعت فيه للتبريد؛ فكيف بماء راكد؟! نعم، صدق الحبيب المصطفى (عليه الصلاة والسلام)؛ فهو حقاً نبي الأمة، وهو حقاً لنا ينطق عن الهوى.